من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الادعية وهم اعلم منا [1] واعلم بما يحب الله ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم دل عدولهم [2] عن التوسل بالافضل الى التوسل بالمفضول ان التوسل المشروع بالافضل لم يكن ممكنا الخ

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الدكتور شبلي افندي شميل ﴾

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور المومأ اليه بحث بها بحثا فلسفيا يخال المطالع من أول وهلة ان الدكتور قصد به محاربة الاديان السماوية على الاطلاق بما توخاه من نفي الخلق واثبات النشوء وقد عجبت بعد اطالته لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله: «لاحياء في الدين» وهذا مما يدل ان للدكتور دينا فما هو دينه يا ترى؟

سعى اخوان الدكتور المومأ اليه لاخذ توقيع بعض الناس لانتخابه عضوا في مجلس الاعيان العثماني بصفة انه عالم مسيحي والعالمية والمسيحية صفتان مرتبطتان بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان للعلم أصولا تقضي بإحقاق الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكنت أستغرب عدم تعيين المومأ اليه بهذا الانتخاب ولعل الذين رفضوا

(١) يحتمل ان يكون هنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظير له في لاحق الكلام ويحتمل ان يكون المراد انهم أوسع علما منا على الاطلاق ثم عدف المقيد على المطلق

(٢) هذا جواب قوله فلما علمت الصحابة الخ

قبول تعيينه عضوا في المجلس الآنف الذكر عرفوا ان الدكتور على مذهب داروين وانه ليس بمذهب معقول ولا مشروع ولا له اتباع في البلاد العثمانية ليكون نائبا عنهم لان أصحاب الاديان المعروفة هم المسلمون والنصارى واليهود .

كنت أقف مبهوتا كلما نظرت إلى مصوّر الانسان «أطلس رسوم هياكله على اختلاف أشكالها» وما احتوت عليه من تراكيبه الكلية والجزئية الظاهرة والخفية التي لا تدون ولن تدون لانطواء كل شيء في العالم الكبير العظيم ضمن هذا الجرم الصغير وكنت أكرر تمجيد قدرة الخالق سبحانه كلما تأملت في الاوعية والاوردة والادوات والمصانع وأسبحه وأقدسه لإعطائه كل شيء خلقه وهدايته إلى استعمال وظيفته وانشد قول الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في توجيه الخطاب إلى الانسان

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وأقول في نفسي ان الاطباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقادا بتوحيد الخالق سبحانه لوقوفهم على حقائق ودقائق ولطائف في تركيب الانسان لا يعرفها غيرهم كما انه لا زلنا نسمع عن أساطين الاطباء انهم كلما اكتشفوا شيئا جديدا يقولون ان الطب لم يزل طفلا « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

وبالنظر الى الدقائق واللطائف والرقائق المنطوية في العالم الانساني قال بعض علماء الصوفية « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

واذا قلنا ـ وهو الواقع ـ ان الاطباء أكثر الناس علما بنظام العالم الإنساني فهل يسلم العقل انهم ينسبون الى الطبيعة الجامدة غير المتصفة بالعلم والقدرة والارادة انها أوجدت هذا الانسان العاقل بالنشوء « سبحانك هذا بهتان عظيم »

الكون موجب للحيرة أو هو بعجائبه محل الحيرة ولذلك قال بعض شيوخ علماء التصوف « العجز عن درك الادراك إدراك »

واذا كانت علوم مدنية اوربا لبواعث نفت تأدبا عن ايرادها قد احتوت على الالحاد فقد احتوت ايضا على علوم ذات فوائد عظيمة اجتماعية واخلاقية واقتصادية

وسياسية الى غير ذلك والشرق بحاجة اليها وخصوصا بدورنا الدستوري ذلك الدور السعيد الذي يقضي بتوحيد مشارب عناصر الوطن وتماسكهم لكي يسعدوا بالوطن ويسعد بهم وذلك يستلزم ان ينقل الى الوطن من علوم مدنية اوربا ما يعود عليه وعلى ابنائه بالخير واسمى المطالب وخصوصا لجهة البحث عن احوال بلاد النمسا والمجر المشابهة من حيث تعدد العناصر البلاد العثمانية و بيان البواعث التي قضت بوحدة تلك العناصر واتفاقها وقيامها شعبا واحدا يؤيد مصلحة الوطن ويعزز قوته

ألم يكن البحث بمثل ذلك خيرا واعم نفعا من تأييد مذهب دارون ذلك المذهب الذي قضاياه تخيلات افتراضية صورها الوهم وقربها الاعتقاد بها وهي لا يمكن ان تحل في محل دين من الاديان مطلقا . نعم ان من يميل اليها يكون حجر عثرة في سبيل العفاف والإنسانية والعدالة تأخذ يد من مال معها الى الاهواء وتجسره على فك ارتباطه من قيود الدين الادبية فتسوء عاقبته ويتحمل صاحب هذه البدعة مثل وزر ذلك المسكين الذي مرق من الدين بالاغواء وزخرف القول المموه

ومن المؤكد ان الاعتقادات الفاسدة التي تناقض الدين فضلا عن انها تبعد الانسان عن خالقه فهي توجب شرورا تؤخر الوطن بأدبياته وماديات فترجو من أفاضل الشرقيين الذين وهبوا العلم أو تحصلوا عليه بجدهم ان يتحفوا الشرق بغرر فوائد أوربا وحسناتها ويدعونا من إلحاد الملحدين لان الحسن في نفسه حسن ويوجب حسن الاحدوثة والسيء في نفسه سيء ويوجب سوء العاقبة اجارنا الله من ذلك وان يهبنا الصدق في القول والاخلاص في العمل

بيروت عبد القادر قباني

(المنار) صاحب هذه الرسالة يعرفه كثير من قراء المنار ومنهم من لا يعرفه . هو شيخ رجال الصحافة وكبيرهم عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون التي عاشت أكثر من ثلث قرن وأوقفت في العام الماضي وكان مديراً للمعارف ببيروت الى ذلك العام . وقد جرى في دفاعه عن الدين في رسالته هذه على ما تعوَّد فجزاه الله عن نفسه ودينه خيرا .

ولكنه جاء بشيء من المبالغة في الكلام عن مذهب دارون ومخالفته للدين

وافضائه الى الشرور حتى جوز ان يكون هو الذي منع جعل الدكتور شميل عضوا في مجلس الاعيان كما طلب الكثيرون من السوريين ! . وعجيب من مثل القباني ان يخطر هذا في باله! وهل يظن انه لا يوجد في رجال المجلس العمومي من المبعوثين والاعيان من يقول بصحة رأي داروين في تباين الأنواع ؟ وهل كان الكاتب نفسه يمنع كتب داروين وكتب من على رأيه من المدارس وغير المدارس لو بقي مديرا للمعارف بعد الدستور أو صار ناظرا للمعارف العمومية ؟

أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب داروين لا ينقض — ان صح وصار يقيناً — قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يناقض آية من آيات القرآن ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقولون بمثل قول داروين وهم مؤمنون إيمانا صحيحا ومسلمون إسلاما صادقا يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ويتركون الفواحش والاثم والبغي التي حرم الله تعالى عملا بدينهم . على ان هذا المذهب علمي ليس من موضوع الدين في شيء

ثم انني أعلم ان الدكتور شميلا لم يكتب ما كتب ردا على صاحب مجلة الهلال الا إنكارا لبعض ما قاله في الاستدلال على صحة الدين من طريق العلم ولم يقصد بذلك التعرض لإبطال الدين نفسه ، إعني ان بحثه كان في الدليل لا في المدلول . وهو وان كان غير متدين لا يستجيز الكتابة في إبطال الدين والتنفير عنه بل انكر قولا وكتابة على جماعة من ايطاليا انشأوا مدرسة في الاسكندرية ظهروا فيها بمقاومة الدين . ولو كانت كتابته للهلال في الاعتراض على الدين لكنا ممن عني بالرد عليه

لا فرق بين الدكتور شميل وبين الكثيرين من اهل بلادنا الذين يرون رأيه في الدين وأكثرهم من النصارى المتعلمين (أي من النصارى جنسية لا اعتقادا) الا أنه هو يصرح برأيه لأن ظاهره و باطنه سواء لا نفاق عنده ولا جبن ولا مصانعة . والذين يجلون علمه واختباره لم يسعوا الى جعله عضوا في مجلس الاعيان للمدافعة عن مذهب داروين فانهم يعلمون ان مجلس الاعيان لا يعرض عليه هذا المذهب ليبدي رأيه فيه وانما أحبوا ان يكون في ذلك المجلس عضو عربي سوري هو من أوسم العثمانيين

علما واختبارا ، وأشدهم حرية واستقلالا ، وحرصا على عمران البلاد ، وارتقاء أهلها في العلوم والآداب ،

اما قول الكاتب الغيور ان الاطباء يلزم ان يكونوا اكثر الناس اعتقادا بتوحيد الخالق فهو صحيح وهو يعني انهم جديرون بأن يكونوا اشد اعتقادا واقوى توحيدا وما اوى الا ان المؤمنين منهم بالله تعالى موحدون لا شرك في ايمانهم ولا وثنية كما في ايمان اكثر الناس (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) وليس للكاتب أن يعجب من حرمان بعضهم من الايمان وهو قد صرح بأن الكون موجب للحيرة أو هو بعجائبه محل الحيرة . والكلمة التي عزاها في هذا المقام لبعض شيوخ الصوفية يعزونها الى الصديق الاكبر وهل يظن ان احداً من علماء الكون ـ الطب وغيره ـ الكافرين موقن في كفره ؟ كلا إن هم إلا حائرون ولكن الحائرين فريقان فريق نشأ على دين وتربى عليه فظل لابسا له ، وفريق نشأ وتربى في مهد الحرية والاستقلال كلا فرنج ومن تلا تلوهم فهم في حيرتهم هذه لا يلبسون لباس الدين

اما سبب فشو الكفر في هؤلاء الناس فهو أنهم يتعلمون العلوم الكونية باحسن الاساليب واقرب الطرق الى الاذهان ولا يتعلمون معها دينا يتفق معها ويرون فيما عليه اهل الاديان كلها أباطيل ينقضها العلم نقضا ويهدمها هدما . ولا يوجد الآن في الارض دين يتفق مع العلم الا دين الاسلام الذي هو دين القرآن لا دين جماهير المسلمين الذين يلتمسون الخيرات والحسنات ، ويدفعون الشرور والسيئات ، بالاستغاثة بالالوف من الاموات ، والطواف بقبورهم والتمسح بما ينسب اليهم من قبر حجري او خشبي ، وقفص من نحاس اوحديد ، وباب من الخشب ، وعمود من الرخام ، وشجرة من الاشجار ، وحجر من الاحجار ، وبئر من الآبار ، وجلد من النعال ، وخرقة من القماش ، — الذين يضيق دينهم عن قلنسوة أو كمة تلبس للوقاية من الشمس ، فما بالك بما لا يحصى من مكتشفات العلم ونتائج العقل !

فهلم ايها الكاتب الغيور نتعاون على جهاد البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ، التي الصقت بهذا الدين فجعلته كغيره أو أشوه من غيره في نظر العالمين ، ونجاهد أنصار هذه الضلالات من ارباب العمائم ، الذين هم اضر على الدين من مذهب

دارون ، لعله يتيسر لنا انقاذ الاسلام من هؤلاء الجاهلين واخراجه من جحر الضب الذي وضعوه فيه ، وبين لاهل العلوم والعرفان انه بريء من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، واتخذوه هزؤا ولعبا ، وانه هو الحنيفية السمحة وهم المائلون المضيقون ، وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها وهم عن الفطرة ناكبون ، وانه موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان وهم لا يوافقون ، فاذا نجحنا في هذا فانا الضامن لك على الاطباء والكيماويين ، والطبيعيين والفلكيين ، والاجتماعيين والاشتراكيين ، والقانونيين والسياسيين ، أن يفضلوه على جميع الاديان ، ويرجحوا جعله دين المدنية في هذا الزمان

أرأيتك هذا الدكتور شميل الذي ترد عليه ، انه يقول في كل نادوسامر ، وعلى مسمع من المؤمن والكافر ، انه لا يوجد دين اجتماعي إلا دين القرآن ، فهو بهذا القول يدعو إلى نصف الاسلام وهو النصف الدنيوي منه ولكن يوجد فينا كثير من أصحاب العمائم ينفر عنه بقسميه الدنيوي والأخروي !!

واما ما أشار اليه الكاتب الغيور من حث امثال الدكتور شميل على وضع المؤلفات في الفنون والعلوم العصرية النافعة للامة في هذا العصر فهو أفضل ما ينبغي الحض عليه والترغيب فيه لتكون لغة البلاد غنية بعلمائها ، وسيكون هذا على قدر عناية الأمة والحكومة بالعلم والله الموفق وبه المستعان

﴿ المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت ﴾

(مقدمة رسالة) قد كان من سيئات الحكومة الاستبدادية لاسيما الحميدية منها ان يذل المسلمون لكل خسف ينالهم حتى العبث بدينهم لأن السلطان عبد الحميد كان قد منع المسلمين من جميع أنواع الاجتماع ومن الحديث والكتابة فيما يتعلق بالأمور العامة ومن تقديم الشكاوى للحكومة في المظالم العمومية دينية كانت أو دنيوية فلم يكن للأمة ان تقدم محضرا وانما كانت الشكوى خاصة بالافراد ! . ولما سقطت سلطته لاسقى الله عهده ـ كان مما شكا منه التلاميذ المسلمون في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت وشايعهم عليه الرأي العام إلزام المدرسة إياهم بتعلم الديانة النصرانية وحضور عبادتها في الكنيسة كما علم مما نشرناه في العام الماضي . وقد انتهى